

الممارسة الحجاجية في الموازنات النقدية القديمة

الوساطة والموازنة أنموذجاً

إشراف الأستاذ الدكتور: حرير محمد

الطالب: بوغفالة إبراهيم

جامعة ابن خلدون - تيارت - الجزائر

جامعة ابن خلدون - تيارت - الجزائر

تحاول المقالة الكشف عن آليات الحجاج في الموازنات النقدية باعتبارها ممارسة حجاجية؛ ومن ثم البحث عن المصطلحات الحجاجية في الممارسات الحجاجية القديمة؛ إذ مارس النقاد والبلاغيون العملية الحجاجية فكانت تطبيقاً قبل أن تكون تنظيراً، وواقعاً قبل أن تكون تجريباً، وحمل التأليف البلاغي القديم صوراً كثيرة من المحاججات والمحاورات، وحتى تكتمل صورة البحث الحجاجي وجب أن يراعي الدارس في نظرية الحجاج المعاصرة المصطلحات الحجاجية ويبحث عنها في التطبيقات التراثية، فما هي أهم المنازلات التي شهدتها الأدب والفكر العربي القديم؟ وما هي أهم المصطلحات الحجاجية التي حكمت الممارسات الحجاجية؟، وهل غياب التنظير للمصطلحات الحجاجية أخلّ بمفهوم الممارسة الحجاجية؟ وكيف يمكن للمصطلحات الحجاجية التراثية أن تؤسس لنظرية الحجاج المعاصرة آفاقاً جديدة.

الكلمات المفتاحية: المصطلح النقدي؛ الحجاج؛ الوساطة؛ الموازنة؛ التفاضل؛ الإقناع؛ الخصومة؛ المحاور.

The argumentative terms in ancient critical balancings

Abstract: This articles tries to present and discover the terminological dictionary in ancient critical balancings/comparisons since it is considered as argumentative practices. i. eto search for the argumentative terms in ancient argumentative practices .

Critics and speakers had practised the argumntative process، it was practice before it's a theory and a realism before it's a concept. The ancient rhetorical writings has already consisted lots of examples for argumentations and dialogues. it's necessary for the one who studies the modern theory of argumentaion to regard the argumentative term and look for it in that hereditary practices for making the argumentative research more completed .

So، what are the most batlings that the Arab literature has seen before ?what are the argumentative terms that guide these argumentative practices? And does the absence

تاريخ تسليم البحث: 16 أفريل 2017.

تاريخ قبول البحث: 04 ديسمبر 2017.

الممارسة الحجاجية في الموازنات النقدية القديمة، الوساطة والموازنة أنموذجاً — مجلة فصل الخطاب

of endoscopy for the argumentative terms cause a misunderstanding? How could the hereditary argumentative terms set new concepts for the modern theory of argumentation?

Keywords: The term; argumentation; mediation; balancing; comparison; persuasion; rivalry; dialogue.

حفل العصر العباسي بصور كثيرة للظاهرة الحجاجية، وترجم العقل تفكير النقاد والأدباء والفلاسفة في مقولات حجاجية لإثراء المنظومة المصطلحاتية الحجاجية ولعل المناظرات والمحاويرات النقدية والأدبية كانت زبدة هذا الصراع الفكري والتحدّي العقلي، فأنتج كل حوار ضرباً من الحجاج ومدّ للحقل الحجاجي مصطلحات يمكن من خلالها أن يحدد نوع الحوار وطبيعته.

والموازنات هي الفضاء الذي يبسط فيه الخصوم حججهم وأدلتهم وأساليب الإقناع المتنوعة، وهي الميدان الذي تكثّف فيه مصطلحات الحجاج وتخرج من المفاهيم المجردة إلى التحقيق العيني، وقد شهد العصر العباسي مجالس كثيرة جمعت بين الأدباء والنقاد والعلماء وأهل الجدل...

والتراث العربي حافل بالممارسات الحجاجية منها الوساطة بين المتبني وخصومه للقاضي عبد العزيز الجرجاني (ت: 392هـ)، والموازنة بين البحتري وأبي تمام المعروفة بالموازنة بين الطائيين للأمدي (ت: 371هـ)، ومنها المناظرة التي عرفت بالمسألة الزنيورية، والمناظرات التي أجراها الجاحظ على لسان الحيوانات...، وترد المحاججة بمصطلحات متباينة في الخطاب والمناقشة والمفاوضة والمراجعة والموازنة والوساطة والمنازعة والمجالسة...

وهذه المقالة تحاول الكشف عن الممارسة الحجاجية في هذين الكتابين، كما تحاول البحث عن المعجم المصطلحاتي في الموازنات النقدية القديمة؛ أي البحث عن الروابط والمصطلحات الحجاجية في التطبيقات النقدية القديمة، ومحاولة الكشف عن استراتيجيات الحجاج في الموازنات النقديتين لكل من الأمدي والقاضي الجرجاني.

فما هي أهم القضايا التي شهدتها النقد القديم؟

وما هي أهم الروابط والمصطلحات الحجاجية التي حكمت هذه الممارسات الحجاجية؟

وهل تضمنت الرسائل نظرية أفعال الكلام باعتبارها عماد الحجاج؟

وما هي أهم الاستراتيجيات الحجاجية التي أقامها كل من الأمدي والقاضي الجرجاني؟

أ. الممارسة الحجاجية عند صاحب الموازنة:

مارس النقاد والبلاغيون العملية الحجاجية فكانت تطبيقاً قبل أن تكون تنظيراً، وواقعاً قبل أن تكون تجريداً، وحمل التأليف البلاغي القديم صوراً كثيرة من المحاججات والمحاويرات، وهذا ما نجده عند صاحب كتاب الموازنة بين الطائيين بين أبي إذ تعد هذه الموازنة من

التطبيقات الحجاجية التراثية التي حاول من خلالها الأمدى المفاضلة بين الشعاعين، فمارس بأليات الحجاج الموازنة بين البحتري وأبي تمام، وهذه بعض ضروب الحجاج قد أوردتها كتابه الموازنة:

1. الروابط الحجاجية:

وهي آليات تقوم عليها الممارسة الحجاجية، وهي على النحو الآتي:

1.1. التعارض الحجاجي:

ألقى الأمدى كتابه بين يدي القارئ وضمنه روابط حجاجية كثيرة منها مبدأ التعارض الحجاجي الذي ظهر في نصوصه النقدية التي مارسها في موازنته، ومبدأ التعارض هو ما يقوم به المعارض حين يبسط "سلسة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقياً، قاصداً إقناع الآخر بصدق دعواه وعلى التأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية"¹

والأمدى كان يمارس نقده بحجج تثبت التفاضل بين الشعاعين، ويحاول أن يقنع المتلقي بما جاء به، يقول: "...وإن كان كثير من الناس قد جعلهما طبقة، وذهب إلى المساواة بينهما، وإنهما لمختلفان، البحتري أعرابي الشعر مطبوع على مذهب الأوائل، وما فارق عمود الشعر المعروف، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام... ولأن أبا تمام شديد التكلف وصاحب صنعة، ومستكره الألفاظ والمعاني، وشعره لا يشبه أشعار الأوائل ولا على طريقتهم، لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعاني المولدة"²، وهذا المبدأ الذي جاء به الأمدى من خلال نصه النقدي حمل مبدأ التعارض الحجاجي وتمثل في المقابلة بين الشعاعين من خلال جملة من العناصر منها:

- التعارض في المكان (البدو والحضر)
 - نفي الرأي السائد بين الناس (وإن كان الناس جعلوهما في طبقة)
 - التأكيد على اختلاف الشعاعين في طريقة نظم الشعر
 - الطبع والصنعة (مذهب الأوائل ومذهب المحدثين)
 - الفكرة البسيطة والفكرة المعقدة
 - الشعر القديم مطبوع والشعر المحدث مؤلّد
- ومن خلال هذا الطرح النقدي نجد الأمدى يقيم حُججه بألية التعارض، وهو ما يثبت الممارسة الحجاجية التطبيقية في النقد القديم.

الممارسة الحجاجية في الموازنات النقدية القديمة، الملاحظة والموازنة أنموذجاً — مجلة نصل الخطاب

2.1. التقارن الحجاجي:

هو مبدأ ممن المبادئ التي يقوم عليها الحجاج، والأمدي قد طرحها بشكل مفصل بين الشعاعين يقول: "ولكني أوازن بين قصيدتين من شعريهما إذا اتفقتا في الوزن والقافية، وإعراب القافية، وبين معنى ومعنى، فأقول أيهما أشعر في تلك القصيدة وفي ذلك المعنى"³، فوضع عناصر المقارنة بين الشعاعين ووضحها في هذه النقاط:

- معيار الوزن

- معيار القافية

- معيار المعنى

- الحكم على الجودة والرداءة

وهي من أهم العناصر التي يتم بها التفاضل بين الشعاعين، وقد قارن الأمدي بينهما بهذه الآلية الحجاجية. ولم يقتصر الأمدي على الروابط الحجاجية فحسب في الموازنة بين الشعاعين، بل يقيم توجهاته وأحكامه النقدية وفقاً لنظرية أفعال الكلام، فكيف مارس الفعل الحجاجي في موازنته؟

2.2. نظرية أفعال الكلام في موازنة الأمدي:

تضمن كتاب الموازنة نظرية أفعال الكلام وتجسدت آلياتها بوضوح في آرائه النقدية من خلال الموازنة بين الشعاعين منها:

1.2. اعتماده الأمر والنهي:

أسلوب الأمر من آليات نظرية أفعال الكلام وقد جاء في مواطن كثيرة من موازنته، يقول: "وبعد فإني أدلك على ما ينتهي بك إلى البصيرة والعلم بأمر نفسك في معرفتك بأمر هذه الصناعة أو الجهل بها وهو أن تنظر ما أجمع عليه الأئمة في علم الشعر من تفضيل بعض الشعراء على بعض، فإن عرفت علة ذلك فقد علمت وإن لم تعرفها فقد جهلت... فإن علمت من ذلك ما علموه ولاح لك الطريق التي بها قدموا من قدموه، وأخروا من أخروه، فثق حينئذ بنفسك، واحكم يُسمع حكمك وإن لم ينته بك التأمل إلى علم ذلك فاعلم أنك بمعزل عن الصناعة"⁴.

وهذه الأوامر أكثر منها الأمدي، فلا تكاد تنهي نصاً حتى تُلقي نصاً آخر قد ضمنه فعلاً كلامياً إما أمراً أو نهياً أو استفهاماً... وهي كلها أفعال كلامية تناسب المنظور الحجاجي المعاصر الذي يقوم على هذه النظرية، وإن كانت في التراث غير مفصلة كما هي عليه في النقد المعاصر والبلاغة الحجاجية والتداولية.

وفي هذا النص الحجاجي نلمس الممارسة التداولية عند الأمدي من خلال اعتماده على أسلوب الأمر والنهي في المفاضلة بين الشعاعين، وهذا الأسلوب هو نفسه الذي نجده في التداولية اللسانية " القائمة على مفاهيم المقاربة والإقناع فهي تداولية إبداعية تبحث في علاقة المعنى بشكل بنيته اعتمادا على شروط افتراضية للتواصل" ⁵، متمثلة في الحجاج بالأمر والنهي والاستفهام.

2.2. اعتماد الأمدي أسلوب الاستفهام:

ومن أفعال الكلام التي مارسها الأمدي إقامته الحجة بأسلوب استفهامي، الذي يوجي للقارئ وجه المفاضلة بين الشعاعين، يقول: "...كيف يجوز لقائل أن يقول إن البحري أشعر من أبي تمام وعن أبي تمام أخذ وعلى حذوه احتذى، وعن معانيه استقى؟" ⁶، ولكي تكتمل صورة البحث الحجاجي وجب مراعاة نظرية الحجاج المعاصرة للمصطلح الحجاجي والبحث عنه في تلك التطبيقات التراثية التي حملت أيديولوجيات الحجاج النقدي ⁷.

والأمدي كان يعقد محاوره بين المذهبين الشعاعيين، مذهب الصنعة اللفظية ومذهب الطبع، وكان موضوعيا في تبين حجج الشعاعين يقول: "...وقد رسمت من ذلك ما أرجو أن يكون الله أن قد وهب فيه السلامة، وأحسن في اعتماد الحق وتحري الصدق وتجنب الهوى والمعونة بمنه ورحمته" ⁸.

وقد أورد هذه الاستفهامات في باب احتجاج الخصمين، وهو مبدأ من مبادئ نظرية أفعال الكلام: "فالاستفهام طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، وهو الاستخبار الذي قالو فيه إنه طلب خبر ما ليس عندك، أي طلب الفهم" ⁹.

والأمدي كان يثبت الحجة بأسلوب عقلي يدل على التخاصم بين أنصار البحري وأبي تمام - كما افترض هو.

2.1. اعتماد الأمدي آلية التكرار:

اعتمد الأمدي على التكرار باعتباره وسيلة من وسائل الإقناع في العملية الحجاجية، وهو من عماد نظرية أفعال الكلام، و"ليس هو ذلك التكرار الممل، أو المولد للخلل، والهليلة في البناء بصفة عامة، إنه التكرار الذي يسمح لنا بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام، وهو أيضا التكرار الذي يتضمن انسجام النص وتوالده وتنظيمه" ¹⁰.

والتكرار مؤشر حجاجي يساهم في إثراء البراهين، وقد مارس الأمدي بآلية التكرار مواقف كثيرة بين الخصمين، وهذه بعض العبارات التي كان يرددها كثيرا:

- العبارة الأولى: "قال صاحب أبي تمام..." ¹¹.

الممارسة الحجاجية في الموازاة النقدية القديمة، الوماطة والموازنة أنموذجاً..... مجلة فصل الخطاب

- العبارة الثانية " قال صاحب البحري..."¹².

- العبارة الثالثة: "ومن أخطائه..."¹³.

وهذه العبارات كان لها تأثير كبير في تحديد الآراء النقدية الحجاجية.

3. استراتيجيات الحجاج عند الأمدي:

3.1. استراتيجيات السخرية:

بنى الأمدي موازنته على استراتيجية حجاجية، فاعتمد على ذكر العيوب والسخرية، وهذا ما نلمسه في ثنايا كلامه عن أبي تمام: إذ كان يلمح بالسخرية ولا يصرح، يقول: "وأنكر أبو العباس أحمد بن عبيد الله على أبي تمام..."¹⁴ فلفظة "أنكر" هي تلميح من الأمدي، وإشارة إلى هلهلة شعر أبي تمام كونه شاعر غير مطبوع، وهذه السخرية لا تظهر للقارئ، لأن الأمدي ينسبها لأبي العباس وهي من حججه، وانظر إلى سخريته بالتلميح يقول: "أصاب أبو العباس في إنكاره أن تكون عيدان الأراك جذوعاً"¹⁵ وكان في أحيان أخرى يصرح بالسخرية فيذكر العيوب، يقول: "(وهو من أخطائه)...حطم ظهر الموعد، باستعارة قبيحة جداً، والمعنى أيضاً في غاية الرداءة..."¹⁶ وقوله أيضاً: "أنا أذكر في هذا الجزء الرذل من ألفاظه، والساقط من معانيه، والقبيح من استعاراته، والمستكره والمتقعر من نسجه ونظمه..."¹⁷.

وإذا لخصنا استراتيجيات الأمدي نجدها في الألفاظ الآتية: (أنكر. الذل. قبيحة. الرداءة. الساقط. المستكره. المتقعر...)، وهذه الألفاظ لها إحياءات ودلالات تكشف الإقناع والحجاج في الموازنة بين الطائنين، وتعد السخرية آلية قوية في الإقناع، وهي أسلوب حجاجي قد أحسن توظيفها في نصوصه النقدية تصريحاً وتلميحاً، الأمر الذي جعله ينتصر للبحري.

وفي المقابل نجد الأمدي لا يورد السخرية من شعر البحري ولا ذكر عيوبه بالطريقة التي شهدناها مع أبي تمام، وإن ذكرها يعطف عليها بالمحاسن التي تستر قبحها، يقول: "وهذا الآن ما أخطأ فيه البحري من المعاني..."¹⁸، ثم يبرر ذلك بذكره عيوب الشعراء الفحول، يقول: "وما أرى العيب يلحق امرأ القيس في هذا..."¹⁹ فيخفي المساوي في عيوب الشعراء الفحول، فمادام أن العيب لم يلحق امرأ القيس وهو إمام الشعر، فكذلك البحري - من باب أولى - أن لا نقول له هذا عيب في شعرك.

3.2. استراتيجيات إعادة الصياغة:

وهذه الآلية نجدها من أعمدة نظرية أفعال الكلام، وهي نفسها من عناصر الحجاج، وقد وظفها الأمدي في قوله: "قال صاحب البحري" و"قال صاحب أبي تمام" وهذه الاستراتيجيات من مقومات العملية الحجاجية.

3.3. استراتيجية المحاصرة والتحيز:

تعد استراتيجية المحاصرة من الآليات الحجاجية التي تقوم على العقل؛ ويتم تضيق المجالات وتحيزها على الخصوم، والمحاصرة هي "الحجة التي تحاصر الخصم في وضعية يستحيل حلها منطقياً، مما يدفعه إلى قبول نتيجة الاستدلال..."²⁰.

وكان الأمدي بارعاً في توظيفها؛ إذ يحاصر القارئ بذكر عيوب أبي تمام، ويأتي بمن شهد لعيوب الشاعر أبي تمام، فيذكر أبا العباس عبد الله بن المعتز بالله في كتابه "سركات الشعراء" يقول: "وهذا البيت اغتر الطائي حتى أتى (بما أتى) به..."²¹، ثم يردف كلامه بقوله: "ومن رديء استعاراته وقبيحها وفاسدها..."²²، وقوله كذلك: "فإن قيل: فإن أبا تمام أبكاه الملام... قيل: لو أراد أبو تمام ذلك لما قال "وقد استعذبت ماء بكائي" لأنه لو لم يكن من الملام لكان ماء الملام هو الملام وهو ماء بكائه أيضاً..."²³.

ويستمر الأمدي في سرد الأقوال ثم التعليق والتعقيب عليها بالبرهنة حتى يحاصر القارئ في زاوية ويحيز فهمه ويجعله يسلم لمذهبه الذي أراد، وهذا ما تكشف عنه بعض المصطلحات التي تنتهي لحقل الحجاج:

4. مصطلحات تنتمي لحقل الحجاج من كتاب الموازنة:

صدر الأمدي موازنته بعنوان محوري يكشف عن المصطلح الحجاجي في التراث سماه "احتجاج الخصمين"²⁴

وعند تحليل هذا العنوان الحجاجي نكتشف مصطلحين حجاجيين هما الاحتجاج والخصومة. وقد أوردهما الأمدي في مقدمة موازنته، وجاءت الممارسة الحجاجية في الموازنة تخيلية على لساني صاحب البحري وصاحب أبي تمام، فلخص الأمدي موضوعات الصراع في سبعة مواضيع نقدية وهي: اللفظ والمعنى، الطبع والصنعة، عمود الشعر، البديع، التقليد والتجديد، السرقات الأدبية، ما عابه العلماء على الشعراء. وبلغت محاور الحجاج ما يربو عن عشرين محورا، بين الحجج وردودها، بدأها بحجاجية الاستفهام يقول: "كيف يجوز لقائل أن يقول: البحري أشعر من أبي تمام، وعن أبي تمام أخذ؟"²⁵؛ فهذا الاستفهام حجة قوية لأنصار أبي تمام، فلا يمكن للتلميذ أن يبرع عن شيخه، وعنه ومنه أخذ فنون الشعر وضروبه، وهذه الحجة العقلية بحث فيها أنصار البحري وردوا قوله على لسان صاحب الموازنة.

ومن المصطلحات الحجاجية في هذه المناظرة إكثار الأمدي من النفي، حتى تتعارض الحجج ويزيد في تكثيف الخصومة، ومثال النفي قوله على لسان صاحب البحري: "وليس الأمر في اختراعه لهذا المذهب"²⁶

الممارسة الحجاجية هي الموازنة النقدية القديمة، الواسطة والموازنة أنموذجاً... مجلة فصل الخطاب

ودارت المحاوره بين هذين الشعارين حول قضية أساسية هي الشاعر المطبوع والمتطبع، وكان الخصام فيها شديدا بين الفريقين، وقد وظف الأمدى فيها معجما حجاجيا كان يمارس وفقه أحكامه النقدية، وهذا الجدول يبين بعض المصطلحات التي مارس بها العملية الحجاجية الواردة في الموازنة:

المصطلح	النص الذي ورد فيه المصطلح	شرح المصطلح الحجاجي
الحوار	قال صاحب أبي تمام. قال صاحب البحتري ²⁷	الحوار بين طرفي الخصام
السؤال	يقول الأمدى: "كيف خصصتم أبا تمام بالظعن" ²⁸	أكثر الأمدى من الاستفهامات حتى يزيد في حجاجية المواقف الحوارية لأن الاستفهام أسلوب إقناعي ترده النفس سرا فتقر بالشيء
الادعاء	يقول: "لئن أسرفتم في الذم وبالغتم على صاحبنا في الظعن..." ²⁹	الادعاء: أن يدعي الخصم حججا ويؤسس لها في الواقع حتى يبطل رأي الخصم.
الاعتراض	يقول على لسان صاحب البحتري: "هذا ادعاء منكم على الإعراب في استحسان صاحبكم إذا فهمتموه، ولا يصبح ذلك إلا بالامتحان" ³⁰	يعارض الخصم ويبطل حججه
الاستشهاد	أبيات من شعر البحتري ³¹ أبيات من شعر أبي تمام ³²	الاستشهاد من أقوى الأدليات الحجاجية التي مارس بها نقده الحجاجي، وهو من باب تقوية الحجة وبلوغ التصديق
الاستدلال	وقد ورد الاستدلال في تعليق الأمدى على أبيات أبي تمام	والاستدلال حجة عقلية ومصطلح إقناعي يعلل حجج الخصمين
التحامل والظعن	يقول على لسان صاحب أبي تمام: "لئن أسرفتم في الذم وبالغتم على صاحبنا في الظعن، وتجاوزتم الحد الذي يقف عنده المناظر إلى مذهب المتسخط وعلى المغالط، والمتعصب المتحامل..." ³³	وفي هذا النص يظهر تحامل الخصوم على أبي تمام، دون تبرير المواقف الحجاجية، وفيها يظهر ميل الأمدى لأنصار البحتري
الدفاع	قال: "فبم تدفعون قول البحتري يرثي أبا تمام ودعبل" ³⁴	ورد الدفاع عن البحتري بسؤال حجاجي حول رثاء البحتري لأبي تمام ودعبل، وهي حجة تبرر موضوعية الأمدى

وهذه نماذج يسيرة تبين مواقف الأمدى في ممارسته الحجاجية، وطريقة ابتكاره للأسلوب الحوارى الفعال ومن خلال المحاورات التي أجراها الأمدى بين الخصمين تبين لنا مدى مساهمة الفكر النقدي العربي القديم في إثراء المنظومة التراثية بالمصطلحات الحجاجية،³⁵ وهذه المحاوراة والموازنة بين الطائين كانت ممارسة حجاجية وها هي اليوم في التنظير الحجاجي المعاصر تدرس بآليات حجاجية.³⁶

ب. الممارسة الحجاجية عند صاحب الوساطة:

أما الموازنة الثانية فجاءت بعنوان: "الوساطة بين المتنبي وخصومه" للقاضي عبدالعزيز الجرجاني (ت: 392هـ)، وكان القاضي حكما مدافعا عن التحامل الذي كان ضد المتنبي، فجاءت وساطته ممارسة حجاجية انتصر فيها بالعدل النقدي للمتنبي، وحاجَّ القوم بأساليب إقناعية متنوعة، وفق استراتيجية نقدية حجاجية تمثلت للاستدلال والمنطق، كما وظف آليات الترابط الحجاجي ونظرية أفعال الكلام في كتابه الوساطة.

أوردت كتب النقد القديمة هذه الممارسة بين المتنبي وخصومه، وكان من أنصار المتنبي: أبو الفتح عثمان بن جني النحوي الموصلي (ت392) والقاضي الجرجاني وعبد الملك بن محمد بن إسماعيل المكنى بأبي منصور الثعالبي (429هـ) ومن خصومه: أبو علي محمد بن الحسن المظفر البغدادي الحاتمي (388هـ) وأبو القاسم إسماعيل بن عباد الملقب بالصاحب بن عباد (ت 385 هـ) ومحمد بن الحسين بن محمد أبو الفضل ابن العميد (367هـ) وأبو محمد الحسن بن علي بن أحمد ابن وكيع التَّيْسِي (ت307).

1. آليات الحجاج في كتاب الوساطة:

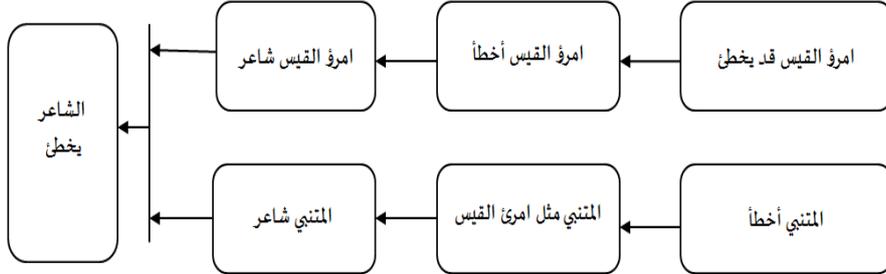
1.1. الاستدلال القياسي:

وهو من الآليات الحجاجية التي اعتمدها القاضي في التوسط بين المتنبي وخصومه، والقياس قول مؤلف من قضايا إذا سلمت بها لزم عنها قول آخر، نحو قولنا: إذا كان زيد عالما فواجب احترامه، لكن زيدا عالم.

والقاضي الجرجاني يستخدم هذه الطريقة الحجاجية في كثير من مواطن كتابه، لما يردّ على حجج الخصوم، فيستدل على الطريقة القياسية المنطقية، فنجده يعنون فصلا كاملا بـ "أغاليط الشعراء" ثم يأتي بفصل آخر يعنونه بـ "ما أخطأ فيه المتنبي" أو "أغاليط المتنبي" فيقيس أخطاء المتنبي على أمراء الشعر القدماء، فإن أخطأ امرؤ القيس - مثلا - وهو أمير الشعر إذا يخطئ المتنبي وهو دونه مرتبة، وإذا أخطأ المتنبي فلا داعي لذكر عيوبه كما لا تذكر عيوب القدماء.

الممارسة العاجية في الموازنة النقدية القديمة، الوصاية والموازنة أنموذجاً..... مجلة فصل الخطاب

ويمكن أن نمثل الاستدلال في هذه الترسيمية:



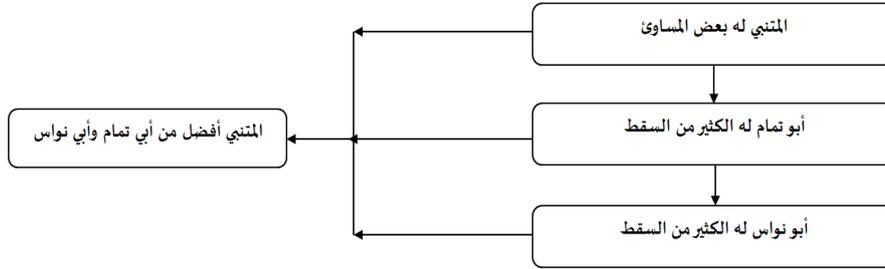
وهذه الخطاظة تكشف عن طريقة الاستدلال التي كان يقنع بها القاضي الخصوم، وهذا نص منها يقول: "ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية، فانظر هل تجد قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه، إما في لفظه أو نظمه أو ترتيبه، أو تقسيمه أو معناه أو إعرابه؟..."³⁷

فهذا النص الذي استهل به القاضي وساطته إنما أورده للقياس؛ إذ يقيس المتنبي على من سبقه في الغلط، فمادام كبار الشعراء لهم هذه الغلطات وقد بررها النقد فلا بد - من وجه الإنصاف - تبرير غلطات المتنبي وسقطاته.

ثم نلفي القاضي يأتي بقياس آخر لكنه مخالف للأول، فيقيس شعر المتنبي بشعر أبي نواس وأبي تمام وهما من المولدين المحدثين، فيذكر مساوئ شعريهما الكثيرة، يقول: "ولو تأملت شعر أبي نواس حق التأمل ثم وازنت بين انحطاطه وارتفاعه، وعددت مَنفِيَّه ومختاره، لعظمت من قدر صاحبا ما صغرت، ولأكبرت من شأنه ما استحققت..."³⁸

ثم يذكر شعر أبي تمام فيقول: "فيرتقي في هذه الدرج العالية ويتصرف هذا التصرف المعجز، ثم ينحط إلى الحضيض ويلتصق بالتراب، ويقول: ³⁹ أصبحت في العقل فاصل بميسم...بيدي ألج الناس في الإنضاج" ⁴⁰

وهذا الضرب من القياس مخالف للأول؛ إذ جعل في الأول المتنبي كغيره من الشعراء الفحول، فإن سقط فقد سقطوا، أما القياس الثاني فقد عمد إلى ذكر مساوئ من هو أدنى درجة من المتنبي، من الشعراء المحدثين المولدين، وهم في أعين كثير من النقاد أصحاب فضل وريادة في الشعر، ومهما بلغ المتنبي من السقط لا يمكنه أن يسفل إلى تلك الدرجة القبيحة من سفاهات الشعر، ويمكن تمثيل هذا القياس في الخطاظة الآتية:



ثم يطرح القاضي هذه الإشكالية " فلم يقدم الشاعرين ويقصى المتنبي؟ " وهي إشكالية متضمنة الإجابة عن الاستدلال القياسي

2.1. الاستدلال المنطقي:

يبني هذا النمط من القياسات على المقدمات الكبرى ثم المقدمات الصغرى فالنتائج، وتكمن وظيفته في "الانتقال مما هو مسلم به عند المخاطب - أي المقدمة الكبرى - إلى ما هو مشكل، أي نتيجة"⁴¹

والقاضي الجرجاني كان يلقي للمتلقى المقدمات ثم يتركه يستنبط ويستنتج النتائج، وهذا ضرب من ضروب الحجاج، فيجعل القارئ على استعداد كبير لقبول فكرة الوساطة، يقول: "ثم أف منكما حجة، وأخرج عنكما صفرا"⁴²

فالقاضي ألقى مقدمات من خلال حديثه عن المتنبي ولم ينتصر له ولم يحكم على شعره بل ترك القارئ يقارن بين المقدمات ويتأمل محتواها ليحكم هو على شعر المتنبي، يقول: "ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية فانظر فيها هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه"⁴³

2. استراتيجية الحجاج في الوساطة:

وجاءت الخصومة على شكل ممارسة حجاجية تثبت اهتمام النقد القديم بالحجاج، فوضع القاضي تصورا تخييليا يكشف من خلاله الطابع الحجاجي بين المتنبي وخصومه، فيورد الأدلة التي تثبت التحامل عليه ثم يبطلها ببراهين بالمنهج المقارن، ويعلل سقطات المتنبي بسقطات غيره من الشعراء الفحول وفق استراتيجية حجاجية هذه بعض أشكالها:

2.1. استراتيجية التحيز والتضييق:

اعتمد القاضي الجرجاني على استراتيجية تحيز المفاهيم في مخاطبة القارئ؛ إذ ضيق الحدود عليه وجعله ينظر في دائرة الحكم النقدي المبرر المؤسس، فلم يقبل منه الرأي الذاتي

الممارسة الحجاجية هي الموازنة النقدية القديمة، الواسطة والموازنة أنموذجاً... مجلة فصل الخطاب القائم على الإعجاب أو الرفض، فلا يمكن التحامل على المتنبي وتتبع عوراته وكشف مساوئه، بل يجب طرح شعر المتنبي بموضوعية في ساحة النقد فما قبل منه قبل وما رفض منه رفض. وهو بهذه الآلية الحجاجية يجعل المتلقي في دائرة أضييق من الأولى، يقول: "وأنا غابتنا فيما قصدناه أن نلحقه بأهل طبقتة، ولا نقصر به عن رتبته، وأن نجعله رجلاً من فحول الشعراء، ونمنعك من إحباط حسناته بسيئاته، ولا نسوّغ لك التحامل..."⁴⁴.

فإن لم يحتمل القارئ من الفرزدق عيوبه ومن أبي نواس سقطاته ومن أبي تمام عيوبه فلا يعمد للتحامل على المتنبي، يقول: "...ولا تسلك بأبي الطيب هذا المسلك، وتحمله على هذا المنهج، علمت أنك متعصب مائل، ومتحامل جائر"⁴⁵.

وهذا الأسلوب النقدي المحتمل بالحجاج يحاصر القاضي خصوم المتنبي ويضيق مجال بسط اللسان في سقطاته وعيوبه، وهي استراتيجية تقوم على تحكيم العقل، وإعمال الفكر في الردّ على الخصوم دون أن يظهر للقارئ أنه من أنصار المتنبي.

2.2. استراتيجية السخرية:

تقوم هذه الاستراتيجية - كما أسلفنا مع الأمدي - على عيوب الشعراء المعاصرين للمتنبي ومن طبقة المولدين الذين لا يمكنهم مجارات الشعراء الفحول في العروبة والطبع البدوي الخالص بحكم التحضر، كما حدث مع أبي تمام والبحثري وبشار وأبي نواس وأضرابهم، والقاضي يعتمد على ذكر عيوبهم لا لينتقصهم، وإنما ليحتجّ للخصوم بهم، فهم أدنى من المتنبي وأقلّ طبعاً وفلسفه منه، فالمتنبي جمع بين الطبع والصنعة لما سمحت به ثقافته البدوية الحضرية.

يقول عن أبي تمام: "...فصار هذا الجنس من شعره إذا قرع السمع لم يصل إلى القلب إلا بعد إتعاب الفكر، وإتعاب خاطر، والحمل على القريحة؛ فإن ظفر به فذلك من بعد العناء والمشقة، وحين حسره الإعياء، واوهن قوته الكلال، وتلك حال لا تهش فيها النفس للاستماع بحسن، أو الاستلذاذ بمستظرف، وهذه جريرة التكلف"⁴⁶.

وهذا الأسلوب الذي يورده القاضي هو سخرية من حجج الخصوم الذين أغفلوا تكلف أبي تمام، فيورد أبياتاً ثم يعلق عليها على أنها لا ترقى إلى أساليب الشعراء الفحول، وفي تعليقاته وأحكامه النقدية يعلم المتلقي أنه يسخر من الخصوم.

فها هو ينتقد شعر أبي نواس ويرمي الخصوم بحجج قوية وينصر المتنبي بطريقة عجيبة، يقول: "...وهو كما تراه في سخر اللفظ، وسوء النظم، وسقط المعنى..."⁴⁷.

ويقول في موضع آخر يعيب مقاطع شعرية لأبي نواس يقول: "ونحو هذا مما يملّ الناظر، ويضيع وقت الكاتب، ولو وجد لأبي الطيب بيت مثله، وحرف يقاربه لعصب بعاره، ولانطلقت الألسنة بعيبه، وصدّره ديوان مثالبه، وصحيفة مساويه"⁴⁸.

فشعر أبي نواس مختل في وزنه ولغته ومرجعياته الدينية، فهو كثيراً ما يسخر من العرب والبدواة وينعت ربوعهم، فمن كان ذا بصيرة بهذا كان ممن يستبعد أن يكون ضمن طبقات الشعراء.

والقاضي الجرجاني جاء بشواهد فقط من رديء شعره ليحتج بها للمتنبّي ويبطل مزاعم الخصوم بأسلوب ساخر من شعر أبي نواس.

3. مصطلحات تنتمي للحقل الحجاجي من كتاب الوساطة ومن رسائل الخصوم:

جعل القاضي وساطته ثرية بالمصطلحات التي يمكن إدراجها ضمن الحقل الحجاجي وهذه بعض منها:

كان أول مصطلح حجاجي عنوان الكتاب الذي سماه القاضي "الوساطة بين المتنبّي وخصومه"

إذ جاء العنوان مصطلحاً حجاجية ومفتاحاً نصياً⁴⁹ يشير إلى مضمون الوساطة؛ إذ تمثل في لفظ الخصومة، وهي كما عرفها أهل اللغة على أنها تعني النزاع والمجادلة، والخصومة: الجدل، ورجل خَصِمٌ كفَرِحٌ: رجل مجادل⁵⁰، فجاء العنوان على شكل مصطلح حجاجي، يلخص الكتاب في كلمتي الوساطة والخصومة.

وهو لم يرد بهذا المصطلح الوقوف عند حكم نقدي جازم، وإنما وقف موقفاً لم يحسم فيه النتيجة لا للمتنبّي ولا لخصومه؛ إذ عرض "لجوانب هذه الخصومة عرضاً منهجياً، ويبدو هذا واضحاً من مقدمته التي حاول المؤلف من خلالها، أن يؤكد على حياده النقدي تجاه طرفي هذه الخصومة"⁵¹ فترك القارئ يفحص الموقف بالقراءة الجادة التي تكشف عن انتصار المتنبّي دون تعصب وكشف التحامل عليه.

والقاضي الجرجاني مارس القضاء فهو يدرك خطورة الحكم وأثره في طبائع الخصوم، فجاء مصطلح العنوان وسطاً في الحكم منصفاً والدارسون مجمعون على أنه "أكثر الكتب اعتدالاً وأكثرها بعداً عن التعصب للشاعر أو عليه، والعنوان يمثل بحق الدراسة قلباً وقالباً، إذ إن المؤلف لم يبغسه حقه، ولم يحاول إنزاله من مكانته اللائقة به بين فحول الشعراء العربية عامة والمعاصرين له خاصة، كما أنه لم يدّع له العصمة، فأثبت ما وقع فيه من عيوب وهنات، التي شأنه فيها شأن كل الشعراء المحدثين"⁵²

الممارسة الحجاجية في الموازاة النقدية القديمة، الوساطة والموازاة أنموذجاً — مجلة نصل (الطاب

وكان مصطلح المماثلة والمقارنة من أهم المصطلحات الحجاجية التي أقام عليها القاضي مؤلفه، فهو دائماً يرفع التحامل على المتنبي بضرب أمثلة من شعر أبي تمام والبحثري وأبي نواس وحتى الشعراء الجاهلين، فإن كان المتنبي سرق المعاني فالحكم نفسه يجب أن يطبق على غيره من الشعراء، في هذه المسألة التي كانت محورا يستند عليه في الاعتذار للمتنبي والدفاع عنه يقول عن شعر أبي نواس: "لو تأملت شعر أبي نواس حق التأمل ثم وازنت بين انحطاطه وارتفاعه، وعددت منفيه ومختاره لعظمت من قدر صاحبنا ما صغرت، ولأكبرت من شأنه ما استحققت، ولعلمت أنك لا ترى لقديم ولا محدث شعرا أعم إخلالا وأقبح تفاوتاً وأبين إضراباً، وأكثر سفسفة وأشد سقوطاً من شعر هذا وهو الشيخ المقدم والإمام المفضل الذي شهد له خلف وأبو عبيدة والأصمعي، وفسر ديوانه ابن السكيت " ⁵³

ولما عرض القاضي شعر أبي نواس ونخله ظهرت عيوبه ووجده سفسافاً فكان في نظره من الأولى أن يراعي خصوم المتنبي شعر أبي نواس فيرفضوه، ثم يرفضوا شعر المتنبي، وهذه الحجة جاءت على سبيل المقارنة بين الشاعرين، فكشف بها عن العيوب بذوقه المتميز المدرب بالفطرة التي تدرك مواطن الحسن ومواطن القبح في الشعر ⁵⁴

والقاضي إنما أورد عيوب شعر الشعراء القدماء ليثبت للمتنبي مكانته، التي أراد أن يطمسها المتحاملون عليه، فجاءت الوساطة حجة للمتنبي على خصومه، مقيّدة حجج الصحاب بن عباد والحاتمي وابن وكيع في تتبع هفوات المتنبي، وما جاء في هذه الرسائل الثلاث لم يرق إلى موضوعية النقد ⁵⁵.

فالرسالة الحاتمية كانت مناظرة ومحاورة بين المتنبي والحاتمي في مجلس افترضه الحاتمي، ولم يقع حقيقة في الواقع، وإلا فكيف بالحاتمي يكشف سرقات المتنبي في المجلس الواحد، ويوجه له الكلام الجاهز الذي نال من عرضه قبل شعره؟

وقد وردت مصطلحات حجاجية في هذه الممارسة في مجلس الحاتمي والمتنبي منها:

الاعتراض، والتعصب، والتحامل، والأخذ، الإسقاط، التوضيح — كما عنون لرسالته —

التعسف، العيوب،...

والحاتمي نفسه كان مقتدراً معتزاً بشخصيته، لا يرى فيها النقص، فلما رأى فضل المتنبي، وقع في شعره، يقول عن نفسه "ألم يستأذن عليك باسعي ونسي؟، أما كان في هذه الجماعة من كان يعرفني لو كنت جهلتي؟، ألم تر شارتي؟، أما شممت عطري؟، ألم أتميز في نفسك عن غيري؟..." ⁵.

أما رسالة الصاحب بن عباد فقد جاءت بسبب تشييع الناس للمتنبي، وبلغ شعره في الناس مبلغا عظيما، فلم يحتمل الصاحب كونه محلة للعلم - كما وصفه الثعالبي - فانبرى يفتش عن مساوئ وعيوب المتنبي، ولم يذكر المحاسن قط، واشتغل بالعيوب يعددها، فجاءت رسالته كلها تحاملا وحقدا لم يصح بخلفياته، إلا أن صاحب يتيمة الدهر رد أسباب التأليف إلى عدم استجابة المتنبي لطلب الصاحب لما طلب منه أن يمدحه، فلما أبى كتب فيه هذه الرسالة، وهو يعلم فضل المتنبي وقامته في الشعر واللغة⁵⁷، "ولم يفعل الصاحب أكثر من اجتلاب أمثلة وشواهد الساخر المتهمك لا الناقد الجاد"⁵⁸ وهي ممارسة نقدية حجاجية، فتش فيها الصاحب عن عيوب المتنبي وصاحب لكل عيب حجته، فخرجت في الناس على شكل محاوراة ومناظرة حجاجية، ومن أهم المصطلحات الحجاجية الواردة فيها ما يلي:

الكشف:

لفظة الكشف جزء من عنوان كتاب الصاحب بن عباد الذي ألفه في المتنبي⁵⁹ ويقصد به فضح المتنبي، ومادة كشف تعني أبان وأجلى عن الأمر اللبس ومنه كشف الشيء وكشف عن الشيء: رفع عنه ما يغطيه، أظهره وبينه، عزاه، وكشف الحقيقة: أظهرها، أبان عنها ما يواربها وكشف عن المؤامرة: فضحها، وكشف أسرارها: أفشأها، وكشف القناع عن وجهه: رفعه عن وجهه؛ أي انكشف على حقيقته، وكشف عمّا في قلبه: أظهر ما فيه من حب أو حقد، وكشف أوراقه: وضّح مقاصده، وأعلن عن نواياه، وكشف الطالع: تنبأ عن مستقبل شخص بعد استطلاع نجم معين⁶⁰.

ومن هذه المصطلحات الحجاجية أيضا (مصطلح المساوئ، والتجريح، والتهجم، والسخرية، والهفوات، والزلات، والانتقام، والانتقاص...).

أما صاحبهما ابن وكيع فأراد الإنصاف فكشف عن حقه وتحامله ضد المتنبي، يزعم أنه أنصفه و"ما أبعد الإنصاف منه"⁶¹، وقد ألف ابن وكيع كتابه انتصارا لابن حنابلة، كاتب ابن وكيع، فسمى كتابه "المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات المتنبي" وكانت الممارسة الحجاجية هجومية نالت من شخص المتنبي قبل أن تنال من شعره، وهذه "الطريقة الهجومية التي اتبعها - خصوم المتنبي - فرضت على الجرجاني منهجه الاعتدالي"⁶²، وكان تجريحا للمتنبي وقد نقضه ابن جني في كتابه المفقود "النقض على ابن وكيع".

وجاءت الألفاظ الحجاجية من باب التحامل والانتقاص، منها لفظ الإنصاف الذي يعني في اللغة العدل، ومنه نصّف الشيء: انتصف، وأنصف فلان: عدل، وأنصف الشيء:

الممارسة الحجاجية هي الموازنة النقدية القديمة، الوساطة والموازنة أنموذجاً... مجلة فصل الخطاب
نصّفه وأنصف الماء الإناء: نصّفه؛ بلغ نصّفه وأنصّف فلاناً: عامله بالعدل، وأنصف فلاناً من
فلان: استوفى له حقّه منه، والإنصاف: العدل، والاسم: النَّصْفُ، والنّصفه⁶³، السارق،
المسروق، التجريح، التكلف، والتعسف والغث...
وإليك هذه الألفاظ الحجاجية المستنبطة من الممارسة النقدية بين المتنبي وخصومه،
وكل لفظ له نصه من كتاب الوساطة مرفق بشرح يسير له:

● المقارنة:

وجاءت لفظة المقارنة في ثنايا حديثه عن الموازنة بين المتنبي وخصومه معنونا بأغاليط
الشعراء يقول: "ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية فانظر فيها هل تجد فيها قصيدة
تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه..."⁶⁴.
ولما أورد القاضي أغاليط الشعراء أراد أن يسوي بين جميع الشعراء في هذا الباب،
والمتنبي واحد من جمعهم، فلم التحامل عليه؟ وهي حجة بالغة في نصرة المتنبي.

● التفاوت:

وقد ذكر هذه اللفظة لما كشف عن عيوب شعر أبي نواس وأبي تمام، فشعر أبي نواس
في نظره شعر رديء سفساف ساقط، قد خرج فيه عن مألوف العرب، وليته تجاوز القديم
وسكت عن السخرية منه، بل حاول طمس ثوابت الأمة العربية، "فلو كانت الديانة معياراً على
الشعر، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر لوجب أن يمدح اسم أبي نواس من الدواوين،
ويحذف اسمه إذا عدت الطبقات"⁶⁵.

رکز القاضي في حجاجه لخصوم المتنبي على أبي نواس وأبي تمام باعتبار الأول شاعر
الطبع والثاني شاعر الصنعة، حتى يقيم الحجة على معايير مكتملة فلا يدع للخصوم السبيل
للطعن في تفاوت شعر المتنبي إن وجدوا فيه تفاوتاً، وأبو نواس ممن نال شرفاً وتعظيماً وهو
على هذا الانحراف فمن باب أولى أن يحاكم هو أولاً قبل المتنبي.

● الاحتجاج:

وقد صرح القاضي الجرجاني بهذا المصطلح في مواضع كثيرة من كتابه، ومثال ذلك
قوله: "...فإن ادعيت ذلك وجدت العيان حجيجك والمشاهد خصمك..."⁶⁶.

● الدفاع (الدَّبّ) :

أورد القاضي هذا المصطلح في باب الدفاع عن المتنبي لما أخذه العلماء في السقطات النحوية والصرفية والعروضية، يقول: "وقد تفقدت ما أنكره أصحابك من هذا الديوان، بعد الأبيات التي حالها من امتناع المعالجة فيها وتغدر المخاصمة عليها ما وصفت فوجدته أصنافاً... وقد حكيت في كل باب منها ما علقته من كلام أصحابك... ثم أقف منكما حجة وأخرج عنكما صفراً..."⁶⁷.

ولفظة الدفاع أو الدَّبّ من الألفاظ التي لها علاقة بالحقل الحجاجي، لأنها تساهم في نمو الممارسة الحجاجية داخل المعركة النقدية بين المتنبي وخصومه.

● الطعن:

ولفظة الطعن لها أثر بالغ في الخصومة؛ إذ عالج القاضي هذا المصطلح وفند طعون الخصوم حتى سدّ جميع الطرق التي يمكنهم النيل بها من شخصية المتنبي.⁶⁸

● التعصب (التحامل) :

لما عرض صاحب الوساطة الأدلة على أن القوم تحاملوا على المتنبي، فنالوا من شخصه قبل النيل من شعره خاطيم قائلاً: "إن لم تحتمله لم تتعمده بالعيب... علمت أنك متعصب مائل، ومتحامل جائر"⁶⁹.

ويقال تحامل القوم على فلان إذا ظلموه، ومنه وجدّ في حُكْمِهِ تَحَامُلًا: تَحَيَّرًا، وظُلْمًا، ويأتي هذا المصطلح بمعان مختلفة منها: تَحَامَلَ عَلَيْهِ ظُلْمًا: ظَلَمَهُ وَلَمْ يَكُنْ عَدْلًا مَعَهُ، وَيَتَحَامَلُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ أَنْ يَحْمِلُهُ مَالًا يُطِيقُ، وَتَحَامَلَ الْعَمَلُ أَوْ فِيهِ أَوْ بِهِ: تَكَلَّفَهُ عَلَى مَشَقَّةٍ وَتَعَبٍ، وَتَحَامَلَ عَنْهُ الزَّمَانُ: أَعْرَضَ عَنْهُ، تَحَامَلَ فِي مَشْيِهِ: مَشَى مُتَنَاقِلًا، وَتَحَامَلَ فِي الْأَمْرِ بِهِ: تَكَلَّفَهُ عَلَى مَشَقَّةٍ، وَعَلَيْهِ كَلْفُهُ مَالًا يُطِيقُ⁷⁰.

● مصطلح الغلو (الإفراط – الإسراف الاعتداء – الإغراق) :

أورد القاضي هذا المصطلح في باب عنونه بـ"غلو القدامى" يقول: "فأما الإفراط فمذهب عام في المحدثين وموجود كثيرًا في الأوائل"⁷¹.

وهو من المصطلحات التي تتداول بين أهل المناظرات والمحاورات، وقد شاعت كتب المتحاملين على المتنبي به.

الممارسة الحجاجية في الموازنات النقدية القديمة، الوساطة والموازنة أنموذجاً..... مجلة فصل الخطاب

● التوسط / الوساطة:

وبه عنون كتابه، وأراد أن يكون كلامه في الخصوم على قدر ما يستحقون من التوجيه والرد، يقول: "لو عرّجنا على كل معترض وأصغينا لكل قائل لامتد بنا القول ولأعجزنا كثرة الخصم عن امتحان الشهادات، وشغلنا باتّصال الدعوى عن التوسّط..."⁷².

● المواخذة:

أورد لفظ المواخذة في باب من كتابه سماه: "مأخذ العلماء على المتنبي": إذ عرض مجموعة من الأحكام التي نقد بها العلماء المتنبي ثم نقضها وعللها صرفياً ونحوياً وعروضياً، ولم يكن منتصراً للمتنبي متحيزاً كما وصفه الكثير من النقاد، وإنما كان يعرض الأفكار بكل موضوعية ويقوم حجج الخصمين على ما يقتضيه قضاة الأدب، كيف وهو القائل... "ثم أقف منكما حجرة، وأخرج عنكما صفراً..."⁷³.

والناقدان يعالجان جانباً تطبيقياً في النظرية الحجاجية، بممارستهما النقدية على النصوص الشعرية⁷⁴، وهما حجرا النقد العربي المؤسس، فقد كانا نتيجة امتزاج الثقافات العربية والأجنبية⁷⁵، من منطق وفلسفة ولغة وعلم الكلام... وكان الحجاج يعرف عند البلاغيين أنفسهم بعلم الكلام، ويسمونه المقصدية⁷⁶، وهذا ما كشف عنه محمد العمري في ربطه بين البلاغة العربية القديمة والبلاغة الغربية الجديدة⁷⁷.

ولا أجزم بشمولية البحث في الموازنات النقدية القديمة، لما فيه من تربة خصبة للباحثين تحتاج منهم بسط الآليات والإجراءات والنظريات الحدائثة ليخرجوا زبدته وفقاً للدراسات الحجاجية المعاصرة.

خاتمة:

وخلاصة القول نجملها في العناصر الآتية:

- الحجاج نظرية معاصرة لها أصولها في التراث العربي، وعليه يجب الرجوع إلى مناهل الدراسات القديمة وتطبيق المناهج النقدية الحديثة عليها للكشف عن مكنونات العلوم العربية التراثية.

- موازنة الأمدي ووساطة القاضي تعتبران ميراثاً عربياً خصباً في مجال النظريات الحجاجية.

- وظف كل من الأمدي والجرجاني الفعل الكلامي في الحكم على شعر الشعراء، كأسلوب الأمر والنهي والاستفهام.

- رسائل وإن كانت تحاملا عليه فقد أفادت في حقل الدراسات الحدائيه منها النظرية الحجاجية.
- تحتاج الموازنات النقدية القديمة إلى دراسات موسعة للكشف عن حدائيتها واستمرارية الآراء والمواقف النقدية فيها.
- ساهمت البيئته العباسية الفلسفية في إثراء النقد القديم، إذ نهل كثير من الأدباء والنقاد من الفكر اليوناني والفارسي والهندي مما ساهم في تكوين الحجاج النقدي.
- التراث العربي مدونة حافلة بالنظريات التي تحتاج من النقد المعاصر بسط آلياته البحثية للكشف عن حدائيه النصوص القديمة.

مراجع البحث وإحالاته:

1. محمد العبد، النص الحجاجي العربي - دراسة في وسائل الإقناع - مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر. 2002. ص: 44
2. أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي، الموازنة بين شعراي تمام والبحثري، تح: السيد أحمد صقر، مج: 01، دار المعاف، القاهرة، ط4
3. الأمدي، الموازنة، ص: 20
4. الأمدي، الموازنة، ص: 376. 377
5. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكم، سطيف، الجزائر. ط1. 2009... ص: 234
6. الأمدي، الموازنة، ص: 24
7. محمد الولي، مدخل إلى الحجاج- أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، عالم الفكر. مجلة عالم الكتب والثقافة، الكويت، ع2، سبتمبر، 2011. مج 40 ص: 12.
8. أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي، الموازنة بين شعراي تمام والبحثري، تح: السيد أحمد صقر، مج: 01، دار المعاف، القاهرة، ط4، ص: 3
9. أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، الفصاحة. البلاغة. المعاني. وكالة المطبوعات. الكويت. ط01. ص: 118.
10. أبو بكر العزاوي، الخطاب والحجاج، مؤسسة رهاب الحديثة. 2010. ص: 48.
11. الأمدي. الموازنة. ص: 6
12. المصدر نفسه. ص: 7
13. المصدر نفسه. ص: 236
14. الأمدي. الموازنة. ص: 141.
15. الأمدي. الموازنة. ص: 142
16. الأمدي. الموازنة. ص: 231
17. الأمدي. الموازنة. ص: 259

الممارسة الحجاجية في الموازنات النقدية القديمة، الوساطة والموازنة أنموذجاً..... مجلة فصل الخطاب

18. المصدر نفسه. ص: 371.
19. المصدر نفسه. ص: 372.
20. لיתי مراد. إشراف: بوجمعة شتوان، الحجاج في مناظرة الحيدة والاعتذار- عبد العزيز الكنانى- رسالة ماجستير، جامعة ملود معمري، تيزي وزو. كلية اللغات والآداب. 2012 ص: 88.
21. الأمدى. الموازنة. ص: 274.
22. المصدر نفسه. ص: 275.
23. المصدر نفسه. ص: 278.
24. المصدر نفسه. ص: 06.
25. المصدر نفسه. ص: 04.
26. الأمدى، الموازنة، مج 01، ص: 27.
27. المصدر نفسه، ص: 06.
28. الأمدى، الموازنة، ج 1، ص: 52.
29. المصدر نفسه، مج 01، ص: 37.
30. الأمدى، الموازنة، ج 1، ص: 56.
31. المصدر نفسه، ج 1 ص: 53.
32. المصدر نفسه، ج 1 ص: 61.
33. المصدر نفسه، ج 1 ص: 64.
34. المصدر نفسه، ج 1 ص: 75.
35. ينظر: حمدي صمود، برلمان وتيتكاه، مقالات في الحجاج، جامعة منوبة، تونس، ص: 471.
36. الموازنة، مج 01، ص: 37.
37. الجرجاني القاضي عبد العزيز، الوساطة بين المتنبى وخصومه، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ص: 53.
38. الجرجاني القاضي، الوساطة، ص: 56.
39. ديوان أبي تمام، ص: 491.
40. الجرجاني القاضي، الوساطة، ص: 61.
41. محمد العبد، النص الحجاجي العربي " دراسة في وسائل الإقناع " مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر. 2002. ع 60. ص: 57.
42. الجرجاني القاضي. الوساطة، ص: 243.
43. الجرجاني القاضي، الوساطة. ص: 05.
44. المصدر نفسه، ص: 344.
45. المصدر نفسه. ص: 345.
46. الجرجاني، الوساطة، ص: 26.
47. المصدر نفسه، ص: 60.

48. الجرجاني، الوساطة. ص: 61. وهذه نتفة من سخييف شعره: حمدان مالك تغضب...علي من غير مغضب
فقد حلفت يميننا...ميرورة ليس تكذب
فالبحر أصبح شاني...والبحر أشهى وأطيب
49. مازن الوعر، مقدمة: علم الإشارة- السيميولوجيا، لبيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات
والترجمة، ط1، 1988، ص: 9.
50. ينظر: الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر الهويريني، دار
الكتب العلمي وبيروت لبنان، ط04، 2013، ص: 1114، مادة حصم _
51. عثمان موافي الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم، دار المعرفة الجامعية،
الإسكندرية، ط1. 1993 م. ص109
52. أحسن مزدور، معايير النقد الأدبي في القرن الرابع الهجري، مكتبة الأدب، القاهرة، ط2، 2008م. ص176
53. ينظر: أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، دار نهضة مصر، دط. دت. ص: 100
54. القاضي عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص: 55
55. السيد فصيل، تراثنا النقدي دراسة في كتابة الوساطة للقاضي الجرجاني، دارالمعاف، مصر، دط. دت.
ص: 105
56. الحاتمي، الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي، وساقط شعره، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر،
بيروت، 1965، ص: 11
57. الثعالبي، بتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، ج1، ص: 138
58. طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي، دار الكتب العلمية، ط1، 2008 ص: 141
59. عنوان الكتاب " الكشف عن مساوئ المتنبي "
60. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة كشف.
61. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، ج2، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل،
بيروت، لبنان، ط3، 1981، ص: 281
62. محي الدين صبيحي، نظرية الشعر العربي، ص: 14
63. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر الهويريني، ص: 871، مادة نصف
64. الجرجاني القاضي، الوساطة، ص: 05
65. المصدر نفسه، الوساطة، ص: 40
66. المصدر نفسه، ص: 32
67. المصدر نفسه، ص: 243
68. ينظر المصدر نفسه، ص: 244
69. المصدر نفسه، الوساطة، ص: 244
70. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح: أبو الوفاء نصر الهويريني، ص: 1001، مادة حمل
71. الجرجاني، الوساطة، ص: 245
72. المصدر نفسه، ص: 257

الممارسة الحجاجية في الموازنات النقدية القديمة، الوساطة والموازنة أنموذجاً — مجلة فصل الخطاب

73. المصدر نفسه، ص: 243
74. أحمد مطلوب، المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة ناشرون، لبنان، ص: 37
75. طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العربي، ص: 178
76. محمد سالم محمد الأمين الطيلة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر. الكتاب الجديد، بيروت، ط1. 2008. ص: 260
77. العمري محمد، البلاغة العربية. الدار البيضاء، المغرب، د.ط. 1999. ص: 29